من رواية " الذين يأكلون السلطة ":الأمبراطورة داريا تاجوي

٢-١

للأمريكية ديانا دافنبورت
ترجمة :عمران السعيدي

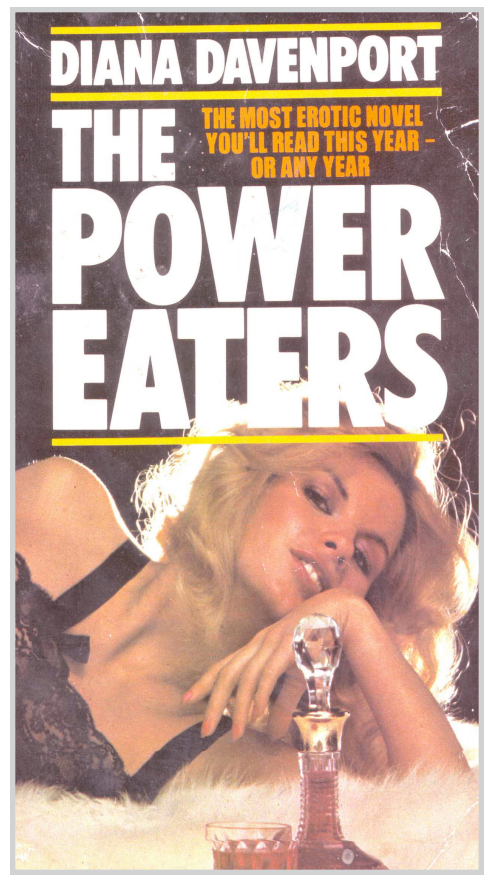

استرخت الأمبراطورة صامتة محدقة في السقف الباروكي لغرفة نومها في القصر الملكي بطهران وراحت تتأمل اللقاء الذي تم قبل شهر مع تازار مسعود وهو أحد حراسها الشخصيين ....
عند ذاك الصباح كانت قد استيقظت وهي مليئة بالطاقة والمشاريع ...تململت تحت الشراشف الحريرية دافعة اياها بعيدا عن جسدها الجميل ونهضت بكل حيوية ،.سمعت بحركتها هذه خادمتها الخاصة فنهضت بلا تردد وهي تراقب همسات روب سيدتها وهو يداعب فخذيها اثناء نزولها من الفراش ..اتجهت الخادمة مسرعة الى الحمام وفتحت صنابير السباحة استعدادا لحمام الأمبراطورة الصباحي ..
في الثامنة والنصف صباحا ، تناولت الأمبراطورة طعام الأفطار ثم ارتدت ملابسها ومجوهراتها الثمينة استعدادا لبرنامج عمل اليوم ، وفي الساعة العاشرة التقت بعدد من وزراء الدولة وفي الواحدة والنصف تناولت الغداء مع الشاه .أما فترة بعد الظهر فقد جلست في مكتبها وتحدثت مع بعض المحافظين حول قضايا الطفل وربات البيوت وحول ميزانية البلاط ومكتبته وعن الطلبات الجديدة .ومن ثم قرأت بعض التقارير وناقشت رئيس الوزراء . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر التقت بتازار مسعود وبدأت مشروعها معه ..
جلس مسعود وهو في حالة رعب شديدة خوفا من دعوة الأمبراطورة له بصورة غير متوقعة ومن يدعى بهذه الصورة من قبل الأمبراطورة يكون في الأمر قضية خطيرة يخشاها الجميع اذا مروا بهذه الحالة . جلس مسعود في غرفة الأستقبال خارج مكتب الملكة الخاص في قصر نياواران ..لم يعلم مسعود سبب استدعائه من قبلها وكان مأخوذا بخوف شديد وراح يسأل نفسه : أي شيء قام به ليزعج الشاه أو الأمبراطورة.. كان في حيرة شديدة ولم يحصل على جواب لهذه الدعوة ...هل سمعت الأمبراطورة بما اشيع عنه بأن اصدقاء والده يسعون لأطلاق سراحه من سجون الشاه ؟... لقد اتهم والده باثارة الشغب والتحريض وهو فلاح أمي وقد القي القبض عليه وتم سجنه لمدة اربع سنوات بتهمة التحريض ومحاولة تغيير ظروف عيش فلاحي ايران.
كان رجلا أحمقا يهتم بالمهرجانات أكثر من الأصلاح وتم اعتباره مثيرا للفتن من قبل أمن الشاه ولذلك جاءت عقوبته أن يبقى في زنزانة السجن لمدة اربع سنوات مربوطا بسلاسل حديدية مهلكة.. وهو الآن داخل السجن ضمن أكثر من مئتي ألف ضحية سياسية من ابناء الشعب الأيراني ...
لم يمنع هذا الأمر من جعل ابن هذا الفلاح المعارض (تازار) من أن يكون أحد أكثر الشخصيين ثقة ولمدة ثماني سنوات وبصورة خاصة لدى الأمبراطورة نفسها ...وكان مسعود قد أعلن براءته من أعمال والده ساعة القاء القبض عليه وايداعه السجن ولكن مسعود يبكي بحرقة حزنا على والده العجوز والمعذب بصورة يومية داخل قيوده الثقيلة وهو يعيش حالة موت شبه يومي ...وقد وصلت كلمة تفيد بأن والده مريض جدا نتيجة التعذيب الذي يواجهه يوميا على ايدي رجال السافاك .
اتصل مسعود تازار بعدد من اصدقاء والده في محاولة لأخراجه من السجن كي يموت ميتة هادئة داخل بيته وهو يتساءل فيما اذا كان هذا الطلب قد وصل الى القصر الملكي عن طريق مخبري السافاك داخل القصر وقد تكون الأمبراطورة على علم بهذه الرغبة غير المسموح بها لرجل يعمل في حماية العائلة المالكة ...
جلس مسعود هادئا وسط الغرفة المفروشة بالسجاد الفارسي ذات الجدران الزجاجية العاكسة للأثاث الفخم ذو الفراش المخملي الغالي والذي غرق في احد كراسيه الى الوسط مأخوذا بالخوف والرعشة من هذه الدعوة الغريبة ..ظهرت الأمبراطورة بصورة مفاجئة أمام مسعود الذي نهض مسرعا نحو سيدته وانحنى على ركبتيه أمام قدميها وراح يقبلهما بكل احترام وهيبة ....وقفت الأمبراطورة في مكانها وهي تنظر الى رأسه الذي صار تحت طرف فستانها الحريري وفمه الملاصق لحذائها وهو ينتقل من قدم الى أخرى ...
أمرته بالوقوف مادة له يدها اليمنى ذات الخواتم الثمينة والأساور فانحنى مقبلا تلك اليد الجميلة بكل تقدير وخنوع ..ثم انتقل الى الكف الأيسر وقبلها أيضا ويبدو ان هذه الحالة هي تقليد متعارف عليه لدى الأيرانيين حين يلتقون الأمبراطورة أو الشاه فكيف وهو حارسها وخادمها الشخصي ...؟
حيته الأمبراطورة بلغة انكليزية جميلة(good morning) فشعر مسعود بالحرج أمام الأمبراطورة الجميلة التي شعرت بالنشوة من تقبيله قدميها ويديها هدفها من ذلك ان تحقق ماتريده منه مهما كان وزنه ، فبالرغم من كونه على تماس مباشر مع العائلة المالكة لا ان شعوره اليوم مختلف تماما بسبب استدعائه من قبل امبراطورته في لقاء خاص ..ومن بين جميع الحراس الشخصيين كان مسعود يشعر بالخجل أمام الأمبراطورة والأطفال معا وحين تنظر اليه ينزل عينيه وكانت الأمبراطورة تشك بأن هذا الرجل مغرم بها ...
رد عليها بأدب : صباح الخير سيدتي ، صاحبة الجلالة ..كان رأسه محنيا الى الأرض بخجل وخوف معا ..
قادته الأمبراطورة الى مكتبها وطلبت منه الجلوس بابتسامة مشيرة الى الكراسي الكبيرة في زاوية المكتب ...جلس وهو يحدق بسيدته فقد جاءت الأمبراطورة اليه هذا اليوم وهي ترتدي زيا أوروبيا رائعا مع الكثير من المجوهرات على ذراعيها وأصابعها ورقبتها الطويلة، مع حذاء واطئ الكعب تاركة شعرها منسدلا على كتفيها بشكل هادئ.
درست الملكة هذا الرجل للحظة وهي تحاول ايجاد طريقة مناسبة للوصول اليه وقد فكرت فيه لفترة طويلة وقررت في النهاية ان تازار مسعود هو الشخص الملائم الذي يمكنها الأعتماد عليه في جميع الخطط التي تريدها لعدة أسباب فبالرغم من انه أعلن براءته من سلوك ابيه فهو يعتبر شخصا غير حساس وليس له أية صلة بتذمر الأيرانيين والجوع والموت الذي يواجهه فلاحو القرى البائسة .فهناك الملايين ممن لم يحصلوا على أي شيء من منافع الثروة النفطية الهائلة ولكن نصيب هذه الملايين كان السلب لتلك الثروات وقيام الشاه مع مهندسيه الأجانب باغتصاب الأرض بحثا عن النفط ولايحصل الفرد الأيراني الا على الفاقة والمرض ..وهم مع كل ذلك مازالوا يقبلون بتقليد دائم وهو تقبيل أقدام الشاه والأمبراطورة والركوع على الأرض بكل ذل وازدراء ..وقد آمنت الأمبراطورة بأن هذا النوع من الرجال يمكنه التضحية بروحه والقيام بأسوأ الأعمال خدمة لها ...
واصلت الأمبراطورة دراسة هذا الرجل بعمق من ناحية الشكل الذابل والعينين الصغيرتين والشعر المجعد الأسود والجسد الكبير ذو الذراعين المعدتين للعمل اليدوي ولكن لايزال هناك بعض العطف في وجه هذا الرجل وهي تراقب هذه الصفة باستمرار.
جلس تازار على حافة كرسيه بانتظار ماستأمر به الملكة ومهما يكن من أمر سينفذه في الحال . وكان يصلي من أجل الا تكون دعوتها له هذه اثر اتهام له بخيانتها أو خيانة العائلة المالكة وياويله من ذلك ...سأل سيدته فورا :
كيف لي ان أخدمك ياصاحبة الجلالة ؟
تنفست الأمبراطورة بهدوء وبدأت الكلام بشكل رقيق :
-تازار ، لدي أخبار عن والدك ..
عاد رأس تازار الى الخلف قليلا فمالت نحوه وواصلت كلامها الرقيق :
-لاتتفاجأ، أنا اعلم انك قلق عليه وتريد سماع اخباره وانه لمن الطبيعي ان نهتم بمن نحبهم حتى وان كانوا من المزعجين للشاه وعائلته ...!..رد عليها تازار :
-ولكن لم هذا الأستدعاء ياصاحبة الجلالة ؟
أجابت :لأني سمعت بأنك ترغب بعودة ابيك من السجن والموت في داره ولقد عانى في السجن منذ اربع سنوات تقريبا وقد اجريت عنه استفسارات أكيدة من داخل السجن ومن المسؤولين عن زنزانته مباشرة ...
رد عليها تازار : لازلت لا أفهم سبب دعوتك لي.
فردت عليه الأمبراطورة : لأن لدي مشروع مهم في الذهن واريدك ان تساعدني فيه وبالمقابل واذا سارت الأمور بالشكل المطلوب سوف يطلق سراح والدك فورا واعطيك كلمتي هذه وهي كلمة ملكتك واعتبرها وعدا أكيدا ...سأل تازار :
-ولكن ياموﻻتي ، كيف سمعت برغبتي هذه ؟هل سأكون عرضة لأطلاق النار أو السجن حول هذه الآراء رغم ان عظمة الشاهبانو هي التي اتاحت لي البقاء في خدمتك برغم سجن والدي الذي يعارض العائلة المالكة.. ردت عليه الملكة قائلة:
لا تكن أحمق ، هناك مخبرون في كل زاوية ولدي معلومات حول جميع حراسنا الشخصيين الذين يحموننا وهم يقدمون تقارير يومية الى (السافاك)..انتم تتجسسون على بعضكم البعض كل يوم وان آذانكم مربوطة بقوة الى الجدران ..وفي هذه اللحظة ، مدت الملكة ذراعها الجميلة المحملة بأساور ذهبية كبيرة الحجم وخواتم الماس كبيرة الفصوص الى أذن تازار وسحبتها وهي تقول :أريدك ان تسمعني جيدا وراحت تدور بصيوان أذنه بكل قوة حيث شعر تازار بخدش تحت ارنبة أذنه عند الرقبة بسبب كبر حجم خاتم الذهب والزوائد المحيطة بالجوهرة الكبيرة حتى آلمته السحبة النسوية.

نـــــدوات

الدولة ورعاية الادباء والكتاب والفنانين

علي ياسين
بغداد

تناولت وسائل الاعلام مؤخرا نبأ اهتمام الحكومة العراقية بالوضع الصحي للشاعرة العراقية الرائدة المبدعة نازك الملائكة والتي تقيم منذ سنوات في العاصمة المصرية القاهرة ،ولهذه الالتفاتة أقام الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق جلسته الصباحية الاسبوعية التي تركزت حول رعاية الدولة للادباء والكتاب والفنانين ، وقد قدم للجلسة الناقد علي الفواز بالقول: ان المثقف العراقي ومنذ نشأة الدولة العراقية وعلى مر تعاقب الحكومات ، ظل مهمشا ومقصيا ، فضلا عن ذلك لم تضمن حقوقه ، لافي التعبير ولا في العيش الكريم .
وأضاف الفواز : ان المبدع بطبيعته رأس مال مهم من هنا ، من الاجدر أن تشرعن حقوقه وتضمن حريته في الرأي والتعبير . ان اهتمام الحكومة العراقية بصحة الشاعرة الرائدة نازك الملائكة ، للاسف اقول جاء متأخرا، فهي تصارع المرض في القاهرة منذ سنين ، لذلك كنا نتمنى ان تكون الالتفاتة مبكرة ، كما نتمنى على الحكومة أن تلتفت الى الكثير من الادباء والكتاب والفنانين .
وقال الفواز : حين نتحدث عن الجواهري الشاعر والانسان ، مثلا ، فاننا نعلم انه دخل الذهنية الشعبية والوطنية العراقية ، كما انه صار ظاهرة شعرية واجتماعية وانسانية ، وهذا يعني حين نتحدث عن الملائكة الشاعرة والانسانة ، فانه يجب علينا ان نتحدث عنها بذات السياق ، لانها أيضا ، جزء من الذاكرة الشعرية الحديثة ، فضلا عن تنظيراتها المشهودة في الابداع الشعري الحديث.
وفي الموضوع ذاته تحدث رئيس الاتحاد العام للادباء والكتاب الناقد فاضل ثامر قائلا: ان مسألة رعاية الدولة للمبدعين والكتاب والمثقفين تأخذ حيزا كبيرا من اهتماماتنا المتعددة والكثيرة ، ولا يخفى عليكم زميلاتي وزملائي ، ان وسائل الاعلام لم يكن لها أن تشير لولا الفاتنا الانتباه الى حالةالشاعرة الرائدة المبدعة نازك الملائكة .
وأشار ثامر : اننا في هذه المناسبة ، لايسعنا الا ان نطالب الدولة بتوفير الحماية للادباء والكتاب والمثقفين وبضمان حريتهم في التعبير والتجمهر ، فنحن نعلم جميعا ، أن هناك ، وبين حين وآخر ، من يصدر الفتاوى التي تطالب باسكات صوت الرأي النقدي البناء ، والى اسكات الاصوات التي تسعى الى اظهار الحقيقة جلية ساطعة.
وفي السياق نفسه تحدث الكاتب جمال كريم بالقول : لقد عانى الادباء والمثقفون الاقصاء والتهميش منذ تأسيس الدولة العراقية منذ مطلع عشرينيات القرن المنصرم ، كما حاولت الحكومات المتعاقبة منذ ذلك التاريخ ، بطريقة أو باخرى ، تقديم كل المغريات من منح ومكرمات وهبات وعطايا ، مقابل ولاءات لاهدافها وبرامجها ، وكان للاسف هذا الاسلوب طعما للكثير من الادباء والكتاب .
واضاف كريم : لقد عانى الكثير من الادباء والكتاب والمثقفين العراقيين العوز والفقر والفاقة حتى ان البعض منهم ماتوا على قارعة الطريق أو في الفنادق الرخيصة كما عانوا التشرد والشتات حتى ملأوا منافي العالم القصية. في الحقيقة انني لم اطلع على دستور عام ١٩٢٥ وما تلاه من دساتيرعراقية اخرى وكيف تعاملت مع حريات وحقوق الادباء والكتاب والفنانين.سوى دستور عام ٢٠٠٥ . اننا نحتاج أكثر من أي وقت مضى الى تشريعات قانونية تحمي حقوق الادباء والكتاب والمؤلفين وترعى حياتهم .
وأوضح كريم :اذا استثنينا ماورثته الدولة العراقية من الامبراطورية العثمانية، سنجد ان هناك تشريعا وهو القانون رقم "٣" لسنة ١٩٧١ وكان خاصا بحماية حق المؤلف ليس الا ، واستمر حتى سقوط النظام السابق في التاسع من نيسان ٢٠٠٣، ولم يصدر اي تشريع قانوني سوى ماجاء في المادة ٣٥ والتي تنص " ترعى الدولة النشاطات والمؤسسات الثقافية ،بما يتناسب مع تأريخ العراق الحضاري والثقافي وتحرص على اعتماد توجهات عراقية أصيلة "، ان قراءة أولية لهذه المادة سنكتشف أن فيها اشتراطات مسبقة وواضحة ، ولو عدنا الى مادة ٣٦ من الدستور و التي تناولت الانشطةالرياضية سنجد ان الامر مختلف من حيث الصياغة فهي تنص على "ممارسة الرياضة حق لكل عراقي ، وعلى الدولة تشجيع أنشطتها ورعايتها ،وتوفير مستلزماتها " ، ان الفرق جلي واضح بين التعامل بين الانشطة الرياضية والثقافية بين المادتين كما جاء في مادتي الدستور .
وقبل اختتام الجلسة فتح باب النقاش والمداخلات التي اشترك فيها عدد من الادباء والكتاب ، تناولت مختلف جوانب الجلسة واغنتها نقاشا وسجالا وحوارا .

اصـــــدارات

اول رواية حول تجفيف الاهوار

المدى الثقافي

((الاهوار)) مفردة اخذت الحضور الواسع بعد سقوط بغداد الاخير وقبله. وهي مفردة يتشابك فيها السياسي والثقافي والرمزي. وهي ايضا مسرح الكواليس السرية للخيال والسرد والنضال والخيانة منذ انقلاب الستينيات وحتى عمليات تجفيف المياه الاخيرة.
في هذه البقعة عاشت اصناف من الحيوانات ومرت اجيال من المقاتلين والعشاق وعوائل بائسة فرت من بطش النظام العفلقي ثم تشتت في دول الارض البعيدة فرارا .والرواية تذكرنا بشهداء كدنا ان ننساهم لكثرة قتلانا . اولئك الذين كانت حماية الماء لديهم مبدأ وفطرة الانسان الاولى هي الوطن . فنجد رواية ((محطة قطار براماتا)) تظهر بشاعة بؤس الاطراف العراقية حين ذاك وهو ماكان كل من صراع النظام والمعارضة . ان يخفيه فيغيب هذا الصراع نماذج بشرية كان الغدر بها الخطوة الاولى لاغتيال وطن بكامله .
رواية ((محطة قطار براماتا)) للاديب والباحث العراقي عبداللطيف الحرز .الصادرة في بيروت عن دار الفارابي، تعيد حضور الاهوار كمشكلة سياسية واشكالية ادبية ومسرح لاحداث تغيرات العقل العراقي .
امكنة الرواية هي : الاهوار في تسعينيات القرن الماضي . والعراق في بداية زمن الاحتلال . وايران واستراليا.
اما زمن الرواية فهو يمتد من تسعينيات القرن الماضي وحتى مابعد سقوط بغداد . اي انها تشمل مرحلة المعارضة ومرحلة الشتات ومرحلة الاحتلال . هي رواية تنقد الانقلابات ليس الانقلابات السياسية فقط وانما الاجتماعية والثقافية ايضا . لكلٍ من النخبة والجماهير . لكن من خلال عرض المتغيرات الحياتية كسرد .
﴿لم يكن البعوض مزعجاً تلكم الليلة، ولا قارصاً كنهش الكلاب، مثل عادته الجارية، وكأن البعوض أبى إلا أن يترك كمية الدماء فينا كما هي، من أجل أن لا يتهمه الانسان بمشاركته امتصاص دم الاهوار القاني. حتى القوارب.. حتى القوارب لم تكن تمخر الماء، بل كانت جنازات تحنو عليها كفوف الماء المشيعة.. لم تكن تلك معركة.. كانت وعداً﴾

جزء من الرواية

قصيدة حب

كريم شغيدل

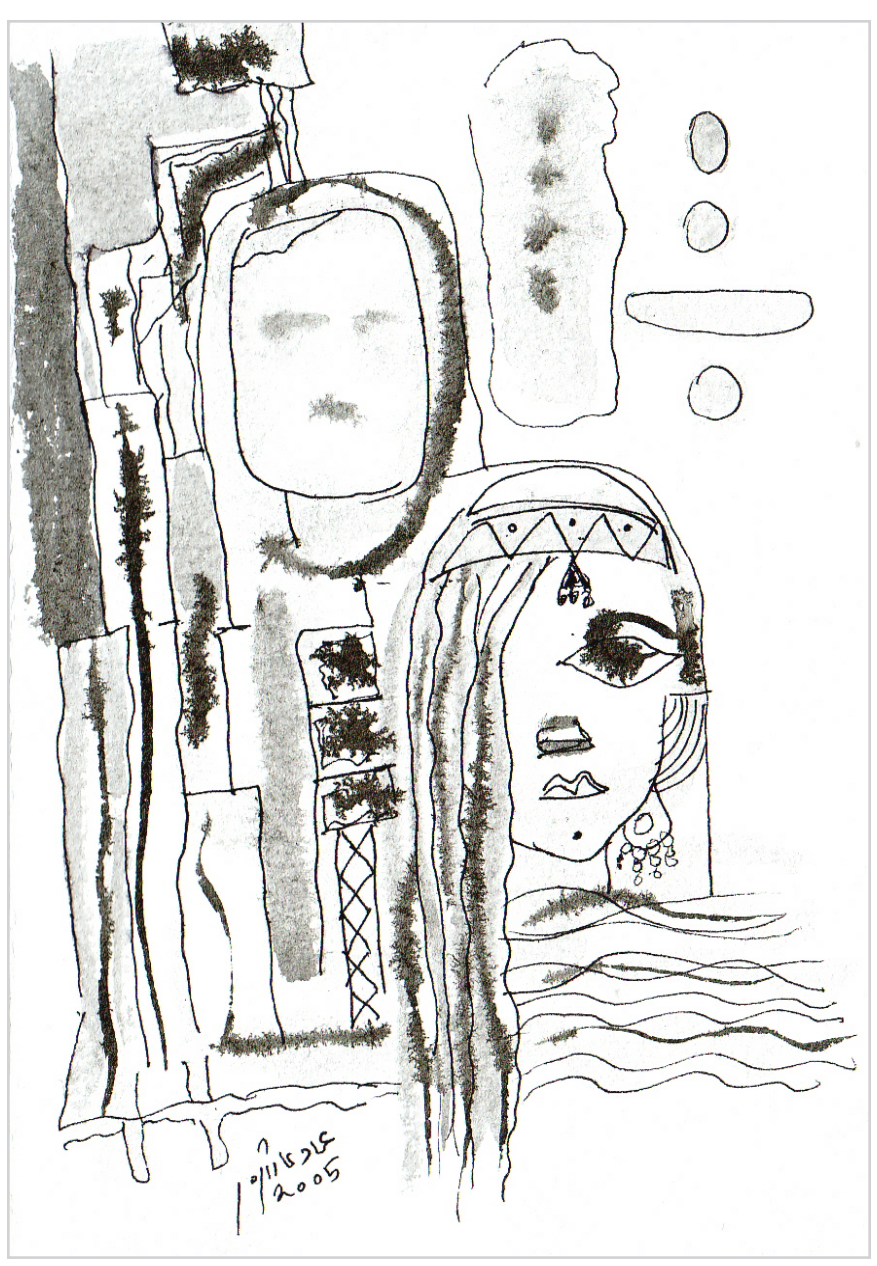

غبار بحجم الحروب و رعود بعيدة...
يكاد البرق يبتر أصابعي
الليلة تفجر الخريف في الطرقات
وتكورت على عتبات المنازل أسماله
الليلة ينهمر الخريف بأحقاده
وتنهال على النوافذ خرافاته
الليلة أجدني متيماً يتيماً تائهاً
أخض بركة أحلامي
الليلة يئست حمى الحب
وتلاشى الشجن البري
أسمعني أدندن بلحن يابس
تساقط نغماته
فيكنسها السعال
كما تكنس العتمة
اصفرار المصابيح
أما آن لي أن أكتب قصيدة حب
أما آن لي أن أتغزل
بشمعدان عطر
وتمثال لهفة
أو مرآة لهاث
خريف يصفع أبواب المدينة
وخريف بين أصابعي
تصفر في بلعومه الأقاويل
ويصفر بين خرائبه الأنين
لكني الليلة واقع في الحب
عاشق مبتلى وبيني وبينها
مسافة حمى
فراشات تتهافت الآن على أطرافها المشتعلة
حظر تجوال وشوارع مرصوفة بالعتاد
أبناء لها مدججون بالريبة
من زائر يغزو فناجين قهوتهم
لكن حنيناً خريفياً سيأخذني
لصرير باب شقتها
لشغفي بها على السلم الطويل
لطعم الشاي بالقبل السريعة
لمنفضة السجائر
لأزرار قميصها الأرجواني
لذكرى الترمل في عيونها
لخوفها وارتباك سيقانها
من غرفة لأخرى
لانحناءتها على صحن الفاكهة
للشتائم بيننا
لزواجنا في المطعم الشعبي
لدينار حسبناه مهراً
وحلما بليلة دون باقات زهور
الليلة منغمس بها
وعصي على القصيدة حبها
الليلة أخرج حافيا
متدرعا بالقصص القديم
عن المجانين
أنا الليلة مجنونها
أوقف الخريف على عتبة الدار
ـــ من أي البلاد قدمت؟
- ماذا كنست من الوطن؟
ـــ ماذا كسبت من أعشاش الطيور؟
- ماذا جنيت من الأوراق؟
ـــ من أي حرب سقت هذه القسوة؟
- وإلى أي حرب ذاهب بهذه الزمجرات؟
ـــ أما آن لنا تدوين ما نسيته السواقي على أقدامنا؟
ـــ أما آن للمتيم أن يتغزل كالمجانين؟
الليلة برغم المخاطر
أرفع حظر تجوال القلب على هذه الورقة
لماذا يتفجر خريف مثلك في الشوارع
فيهز النوافذ ويطفئ الشموع
لقد كتبنا عن الحرب
عن المجاعة
عن جنود صبيان فقراء
يحتضنون عناقيد الموت
وينظفون الشوارع من آثار دمائهم
عن وطن تسحل فجره الجرارات
وتطحن السرفات أشلاءه
كتبنا عن خوذ لرؤوس مجهولة تتطاير في الوديان
وعن موتى مرحلين
ينشون الذباب عن موائد المعزين
وكالتلاميذ يطيعون أوامر الدفان
لقد ترملت القصائد
وأجهشت صورها بالخراب
الليلة يرسمني العشق طريدة
أعرف أنهم يتلثمون خلف الباب
ويبذرون الموت في الطرقات
وأعرف أنهم يطاردون ملائكة الشعر
أعرف أن للورد كتاباً لم يقرأوه
وللنهر كراسة لن يفقهوا حروفها
وأعرف أنهم يترصدون
قصيدة للحب لم أكتبها
وأترصد خلسة سواد قلوبهم
يترصدون الله الذي معي
مذ كنت معه
الله الذي عرفته من جدتي
من ماء وضوئها وبريق جبينها
الله الذي اكتشفته لوحدي
الله الذي علمني الحب والجنون